تقويم الإنسان في القرآن الكريم

أ.م.د.عبد المحسن قاسم الحاج حمو
جامعة الموصل/ كلية القانون

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٧/٩/٢٣ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٧/١١/٢٢

ملخص البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع لما قرأته من فضائل القرآن والتمسك به والتأدب بأدبه ولأنه جماع الخير ، وقد سئلت ام المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن خلقه ﴿ﷺ﴾ فقالت : **(كان خلقه القرآن)**(١) . ففي القرآن الكريم علم ما ينبغي ان يكون عليه الانسان من الخلال الطيبة والسجايا النبيلة وما ينبغي ان يتجنبه من العادات الرديئة والصفات المشينة لانشاء مجتمع مثالي واقعي .

فالاسلام يريد من المسلم ان يكون قرآناً يمشي على الارض بقدميه وينظر بعينيه ويتكلم بشفتيه ونبراسه قوله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(٢) .. فمن أراد العلم فعليه بالقرآن .

ومن أراد الهداية فعليه بالقرآن ، ومن اراد الحكمة والسياسة فعليه بالقرآن فانه قد جمع ثمار الكتب السابقة .

The correction of Man in the Noble Quran

Assistant Prof. Abdulmehsin Qasem Alhaj Hamo
Mosul University / Law College

Abstract:

Praise be to Allah Who Descended the Holly book onto the world to be a Warner to the whole world, and peace be upon his messenger Mohammed who calls the people for Allah worship and became the

---

(١) اخرجه الامام السيوطي في جامعه الصغير وعزاه للامام أحمد في مسنده ولمسلم في صحيحه وابي داؤد في سننه ورمز له بالصحة : ١١٦/٢ .

(٢) سورة الاسراء – الآية (٩) .

guiding light and may Allah be pleased with all his companions and every man who followed their track till the judgment day.

I have chosen this subject because holding onto the Quran is a great thing and that we should follow the Quran and its disciplines because it includes all the good Allah created. Aisha (prophet Mohammed's wife, may Allah be pleased with her) was asked once about the manners of the prophet and she said: "His manner was the Quran. (1) " The Noble Quran teaches how should man be and the good and noble qualifications he should have and the bad qualifications man should abandons to create an ideal society.

Islam encourages each of its followers to be as a Quran that looks with two eyes, speaks with lips and walk with feet following what Almighty Allah says: "Verily, this Quran guides unto that which is the straightest, and gives tidings to the believers who do good works that theirs will be a great reward" (2) So everyone who seeks knowledge should learn the Noble Quran in the first place, and anyone who seeks guidance, politics and wisdom should learn Quran.

المقدمة : تقويم الانسان في القرآن الكريم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ليكون للعالمين نذيراً والصلاة والسلام على من أرسله الله داعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين ومن سلك طريقهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين .

وبعد : فقد اخترت الكتابة بهذا الموضوع لما قرأته من فضائل القرآن والتمسك به والتأدب بأدبه ولأنه جماع الخير وقد سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن خلقه ﴿ﷺ﴾ فقالت :

---

(1) Narrated by AlSeyuti in Aljamea Alsagheer and he related it to Ahmed in his Musnad and related it to Muslim in his Sahih and also related it to Abi Dawood in his Sunan.

(2) Sura Al-israa, (9).

(كان خلقه القرآن)(١) . ففي القرآن الكريم علم ما ينبغي ان يكون عليه الانسان من الخلال الطيبة والسجايا النبيلة وما ينبغي ان يتجنبه من العادات الرديئة والصفات المشينة لانشاء مجتمع مثالي واقعي ، فالاسلام يريد من المسلم ان يكون قرآناً يمشي على الارض بقدمين وينظر بعينين ويتكلم بشفتين ونبراسه قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(٢) .. فمن أراد العلم فعليه بالقرآن ، ومن أراد الهداية فعليه بالقرآن ، ومن اراد الحكمة والسياسة فعليه بالقرآن مصداقاً لقول الشاعر :

علم هدى نور به وسياسة لم يأت انجيل بها وزبور

والله اسأل ان يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همنا وغمنا لهذه الاسباب وغيرها اخترت هذا الموضوع للكتابة به والله الهادي إلى سواء السبيل واليك اخي القارئ خطة البحث من المقدمة الآنفة الذكر وخمسة مباحث وخاتمة .

- **المبحث الأول** : في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) .
- **المبحث الثاني** : في النزعة الانسانية في القرآن الكريم .
- **المبحث الثالث** : في التعريف بالعضة القرآنية والعبر والعظات (المستفادة) من القصص القرآني .
- **المبحث الرابع** : نماذج من تقويم الانسان في القرآن الكريم .
- **المبحث الخامس** : وجوب الحكم والعمل بالشريعة الاسلامية. **الخاتمة** : استعرض فيها النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث .

المبحث الأول : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

قال تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (سورة الاسراء : الآية ٩) . والمراد بقوله سبحانه يهدي للتي هي أقوم ، أي (للأسد والأعدل والأصوب)(٣) والمراد بها الهداية هنا (التوفيق للهداية)(٤) وذلك بامتثال الأوامر الالهية واجتناب النواهي . قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

---

(١) اخرجه الامام السيوطي في جامعه الصغير وعزاه للامام أحمد في مسنده ولمسلم في صحيحه وابي داؤد في سننه ورمز له بالصحة : ١١٦/٢ .

(٢) سورة الاسراء – الآية (٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن – للامام القرطبي – ٢٢٥/١٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن – للامام القرطبي – ٣٢٨/١ .

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)(١) . فالقرآن يدعو لكل ما يهدي للخير ويقوم سبيل الرشاد ويوفر الحياة السعيدة الهانئة التي يسودها العدل وصلة الارحام بين المسلمين واحسان بعضهم لبعض . ومن جهة أخرى فان القرآن ينهى عن كل ما من سبيله ان يؤدي إلى فساد المجتمع وتدهوره من فحش ومنكر بأنواعه .

ان القرآن يدعو للصدق ويحث عليه . قال تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(٢) وللصدق أنواع ثلاثة(٣) :

١. صدق المرء مع نفسه .
٢. صدق المرء مع ربه .
٣. صدق المرء مع الناس .

ومقابل ذلك ينهى القرآن عن الكذب في القول واليمين تلك الصفة الذميمة التي تؤدي إلى سلب الايمان وعدم الثقة بذلك الانسان قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)(٤) وقال : (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا)(٥) وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)(٦) .

والقرآن يأمر بالوفاء بالعهد ، قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)(٧) . وقد كان رسول الله (ﷺ) مثلاً عالياً في الوفاء بالعهد حتى قبل البعثة ، فعن عبدالله بن الحسناء (رضي الله عنه) قال : بايعت النبي (ﷺ) . قبل ان يبعث فبقيت له بقية ووعدته ان آتيه في مكان فنسيت ثم تذكرت ذلك بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال : يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك(٨) .

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٣) الفضيلة والفضائل في الاسلام – أحمد عبدالرحيم السايح – ص٥٢ .

(٤) النحل : الآية ١١٦ .

(٥) سورة الكهف : الآية ٥ .

(٦) حديث صحيح اخرجه الشيخان ، المغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار للعلامة زين الدين ابي الفضل العراقي : ١٦٧/٣ .

(٧) سورة الاسراء : الآية ٣٤ .

(٨) الفضيله والفضائل في لالام ٦٤وعزاه الحافظ العراقي لابي داؤد في السنن ١٦٦/٣ المغني

وبالمقابل ينهى القرآن عن عدم الوفاء بالوعد ، فأمر المؤمنين بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)(١) . وجعل ذلك من امارات النفاق ، فعن ابي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال النبي «ﷺ»: (ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم : إذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا آئتمن خان)(٢) .

وأمر القرآن بحفظ الأمانة : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)(٣) ويقول عليه الصلاة والسلام : (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك)(٤) .

والقرآن يأمر بالعفو . وهو ترك العقاب على الذنب وترك اللوم والتثريب قال تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)(٥) وقال في سورة آل عمران : (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)(٦) وهو التغاضي عن ذنب المذنب منهم وترك مؤاخذته مع القدرة عليها .

ومقابل العفو ينهى القرآن عن الحقد وهو اضمار العداوة للغير مع التربص للايقاع به. بسبب بغضه له وحنقه عليه(٧) .

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ)(٨) وقال «ﷺ» (المؤمن ليس بحقود)(٩).

والقرآن يأمر بالإحسان ويحث عليه ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى)(١٠) . ويقول : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)(١١) والاحسان أفعال من حسن وهو كل منهج

---

(١) سورة المائدة ، الاية ١ .

(٢) حديث صحيح اخرجة الشيخان المغني: ١٦٦/٣

(٣) سورة النساء : الاية ٥٨ .

(٤) الحديث أخرجه ابو داؤد في سننه في كتاب البيوع باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده : ٢٩٠/٣ والترمذي في سننه في كتاب البيوع (٣٨) باب الحديث رقم ١٢٨٢ وقال هذا حديث حسن غريب ٣٦٨/٢ ، والمعجم الوسيط : ١٨٦/١ .

(٥) الاعراف : الآية ١٩٩ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٣٤ .

(٧) المغني : ٢٢٥/٣ .

(٨) سورة يوسف : الآية ٩٢ .

(٩) ينظر المعجم الوسيط ، ١٨٦/١ .

(١٠) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(١١) سورة الرحمن ، الآية : ٦٠ .

مرغوب فيه عقلاً أو حساً أو هوى . والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، وهو قسمان(١) :

١. الإحسان بمعنى التفضل والانعام .

٢. إحسان بمعنى الإتقان .

وينهى القرآن في المقابل عن الاساءة ، قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا)(٢) . وقال : (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى)(٣) .

والفضيلة الأخرى التي أمر بها القرآن هي القناعة ، قال تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)(٤) . وفي الحديث : (وعن ابي هريرة ﴿رضي الله عنه﴾ عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال:(ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)(٥). والقناعة تعني امرين(٦) :

اولهما : الاعتدال في السعي للغنى ، والاجمال في طلب الرزق .

وثانيهما : ان يرضى الانسان بما وهب الله له مما لا يستطيع تغييره . والقناعة من الاخلاق الاسلامية التي يحسن للمؤمن ان يتحلى ويتجمل بها . وينهى القرآن عن الحسد ، وذم الحساد فقال تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)(٧) . قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ " الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب "(٨) . وينهى عن الطمع فقال مادحا أصحاب الجنة : (لَمْ (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ)(٩) ، وجاء في الحكمة : الدنيا ساعة ، اجعلها طاعة النفس طماعة علمها القناعة .

---

(١) الفضيلة والفضائل : ٧٤ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٣) الروم : الآية ١٠ .

(٤) سورة الحجر : الآية ٨٨ .

(٥) أخرجه الإمام احمد في مسنده وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما والترمذي في سننه ، ينظر الجامع الصغير : ١٤١/١ .

(٦) الدكتور يوسف القرضاوي " الايمان والحياة " ص ١٤٥ ، وينظر الفضيلة والفضائل ص٨٢ .

(٧) سورة النساء ، الاية ٥٤ .

(٨) اخرجه ابو داؤد من حديث ابي هريرة وابن ماجه من حديث انس ، المغني : ٢٣٢/٣ .

(٩) سورة الاعراف ، الاية ٤٦ .

ويأمر القرآن بالحلم ، قال تعالى : (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)(١) ، قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لاشج عبد القيس : " ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة"(٢) . والحلم : الاناة والعقل وجمعه احلام . وقيل : الحلم هو ضبط النفس والطبع والطبع عند هيجان الغضب(٣) .

وينهى القرآن عن الغضب ، فقال تعالى : (إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)(٤) ، وعن عبد الله بن عمرو انه سأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ماذا ينقذني من غضب الله !

قال : (لا تغضب)(٥) .

والقرآن يأمر بالتواضع . قال تعالى : (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٦) . والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على حكم الله بل ينبغي التسليم له سبحانه ، وذكر : ان التواضع قبول الحق ممن كان . وروى مسلم عن ام هانئ ﴿رضي الله عنها﴾ قالت : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : (ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على احد)(٧) . وقد ذم القرآن الكبر في عدة مواضع فقال : (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)(٨) . وقال : (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ)(٩) . وقال ﴿ﷺ﴾ : (لا يدخل

---

(١) ال عمران ، الاية ١٣٤ .

(٢) اخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان في باب مبايعة عبد القيس للنبي (ﷺ) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨٩/١ .

(٣) الفضيلة ، المصدر السابق ، ص٨٩.

(٤) الفتح ، الاية ٢٦ .

(٥) اخرجه الطبراني في مكارم الاخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن . وهو عند احمد : وان عبدالله بن عمرو هو السائل ، انظر المغني : ٢٠٥/٣ .

(٦) القصص ، الاية ٨٣ .

(٧) رياض الصالحين ، ص٢٧٥ . وكذلك الجامع الصغير : ٦٨/١ .

(٨) الاعراف ، الاية ١٤٦ .

(٩) النحل ، الاية ٣٣ .

الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)(١) . والقرآن يأمر بالعفة فقال تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)(٢) .

والعفة : ضبط النفس عند الشهوات وقسرها على الاكتفاء بما يحفظ الصحة ، واجتناب السرف(٣) ، والتقصير وقصد الاعتدال . قال تعالى : (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)(٤) . وقد اتصف الرسول (ﷺ) بكل الخصال الطيبة التي أوصى بها القرآن الكريم وتجنب كل الصفات الذميمة التي حذر منها الله سبحانه وتعالى في كتابه لان خلقه القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فاستحق الوسام العالي الرفيع الذي البسه الله اياه لقوله سبحانه : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(٥) .

وقال الشاعر في وصفه عليه الصلاة والسلام :

قضى الله للعلياء ان تتجسدا   فقال لها كوني فكانت محمدا

لقد طبق الرسول (ﷺ) قوله سبحانه : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)(٦) ، قولا وسلوكا وعملا فمن اهتدى به واختط سبيله كان على خير كثير وعلى قدم ثابتة في الصلاح والتقوى وكان انموذجا في دماثة الخلق .

المبحث الثاني : النزعة الانسانية في القرآن الكريم

ان النزعة الانسانية لتتجلى واضحة في شريعتنا الاسلامية كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)(٧).

وَنِسَاءً)(٧).

فالاصل البشري لابناء البشرية قاطبة هو اصل واحد ومهما تفرق الناس بعد ذلك الى امم وقبائل وبلدان واجناس فانما هو كتفرق البيت الواحد والاخوة من اب واحد وام واحدة وما كان كذلك فسبيل هذا الاختلاف في اجناسهم وبلدانهم ان يؤدي الى تعاونهم وتعارفهم وتلاقيهم على

---

(١) اخرجه مسلم من حديث ابن مسعود المغني : ٤١٧/٣ .

(٢) سورة النور ، الاية ٣٠ .

(٣) السرف : بفتحتين ضد القصد ، والسرف ايضا الضراوة ، ينظر مختار الصحاح : ص٢٩٦ .

(٤) سورة الاسراء ، الاية ٢٧ .

(٥) القلم : الاية ٤ .

(٦) سورة الاسراء ، الآية ٩ .

(٧) سورة النساء ، الاية ١ .

الخير ومن ذلك انبثق المبدأ الانساني الخالد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽¹⁾ .

وقد ترفع الحياة بعد ذلك افرادا وتخفض اخرين وقد تغتني فئات ويفتقر كثيرون وقد يحكم شخص ويخضع شعب وقد تبيض بشرة اقوام وتسود الوان امم اخرى .

ان هذا وان كان من سنة الحياة ، بل هو نظامها الذي لا يتبدل فليس من شأنه ان يميز من ارتفع على من اتضع ولا من اغتنى على من افتقر ولا من حكم على من خضع ولا ذا اللون الابيض على ذي اللون الاسود بل الكل سواء ، سواء عند الله في آدميتهم وانسانيتهم لا تمايز بينهم الا بالتقوى قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽²⁾ . وهم سواء امام القانون في الخضوع له لا تمايز بينهم الا بالحق قال تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽³⁾ . وهم سواء في كيان المجتمع يتأثر قويهم بضعيفهم ومجموعهم بعمل افراد منهم قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)⁽⁴⁾ .

وهكذا يستمر الاسلام في اعلان الوحدة الانسانية بين الناس كاخوة من اب وام والوحدة الاجتماعية في المجتمع كشجرة تهتز اغصانها جميعا اذا لمستها الرياح لا فرق بين اعلاها وادناها ومن المفيد هنا ان نلاحظ كثرة خطاب القرآن للناس بهذه الالفاظ التي تشعرهم بوحدة اصلهم الانساني مثل (يا ايها الناس ... يا بني ادم) كما خاطب ابناء الدين الواحد بقوله: (يا ايها الذين امنوا ... ايها المؤمنون) دون ان يميز في الخطاب أمة على أمة أو فريقا على فريق . واما النزعة الانسانية في قرآننا فانك لتلمس ذلك واضحا في كل باب من أبواب التشريع في الصلاة يقف الناس جميعا بين يدي الله لا يخصص مكان لملك او عظيم او عالم وفي الصوم يجوع الناس جوعا واحدا لا يفرد من بينهم اميرا او غني او شريف وفي الحج يلبس الناس لباسا واحدا ويقفون موقفا واحدا ويؤدون منسكا واحدا لا تمييز بين قاص ودان وقوي وضعيف واشراف وعامة فاذا انتقلت من ذلك الى احكام القانون المدني وجدت الحق هو الشرعة السائدة في العلاقة بين الناس والعدل هو الغرض المقصود من التشريع ودفع الظلم هو اللواء الذي يحمله القانون

---

(١) سورة الحجرات ، الاية ١٣ .

(٢) سورة الحجرات ، الاية ١٣ .

(٣) سورة الزلزلة ، الايتان ٧–٨ .

(٤) اخرجه الامام البخاري بلفظ مقارب في صحيحه في كتاب الادب (٢٧) باب رحمة الناس والبهائم الحديث رقم (٦٠١١) في فتح الباري ١٠/٤٥٢ واخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة الحديث رقم ٦٦ .

ليفيء اليه كل مضطهد ومظلوم فاذا انتقلت من ذلك الى القانون الجزائي وجدت العقوبة واحدة لكل من يرتكبها من الناس فمن قتل قتل ومن سرق قطع ومن اعتدى أُدّب لا فرق بين ان يكون القاتل عالما او جاهلا والمقتول اميرا او فلاحا ولا فرق بين ان يكون المعتدي امير المؤمنين او صانع النسيج والمعتدى عليه اعجميا او عربيا شرقيا او غربيا فالكل سواء في نظر القانون قال تعالى : (الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالانثَى بِالانثَى)(١) .

ويسمو التشريع الى ارفع من هذا حين يثبت الكرامة الانسانية للناس جميعا بقطع النظر عن اديانهم واعراقهم والوانهم قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)(٢) .

هذه الكرامة هي التي تضمن للناس جميعا حقهم في الحياة والعقيدة والعلم والعيش هي للناس جميعا ومن واجب الدولة ان تكفلها لهم على قدم المساواة بلا استثناء .

ويسمو التشريع فوق هذا الى ذروة عالية من السمو الانساني حين يجعل أساس المثوبة والعقاب للناس لا على ظواهر افعالهم بل على نواياهم قال الرسول (ﷺ) : (ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم)(٣) .

فالنية هي محل المؤاخذة او الانابة قال رسول الله (ﷺ) : (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى)(٤) .

والنية المقبولة عند الله هي نية الخير والنفع للناس وابتغاء وجه الله ومرضاته دون غرض مادي أو نفع تجاري قال تعالى : (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(٥) .

وهذا الخير الذي تفعله ابتغاء وجه الله لا يصح ان تطلب ممن استفاد منه ثوابا ولا أجرا قال تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا)(٦) .

ويبلغ التشريع أعلى ذروة من النزعة الانسانية حين يقرر وحدة العوالم كلها من انسان وحيوان ونبات وجماد وارض وافلاك في سلك العبودية لله والخضوع لنواميس الكون وما اروع ما

---

(١) سورة البقرة ، الاية ١٧٨ .

(٢) سورة الاسراء ، الاية ٧٠ .

(٣) اخرجه الامام مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه عن ابي هريرة رضي الله عنه ، ينظر كتاب التاج : ٥٥/١ .

(٤) رواه الائمة الخمسة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينظر التاج الجامع للاصول : ٥١/١ .

(٥) سورة الحج ، الاية (٧٧) .

(٦) سورة الانسان ، الايتان ٨-٩ .

يطلبه القرآن من المسلم ان يذكره في كل ركعة من ركعات صلاته، قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢) الرحمن الرَّحِيمِ)⁽¹⁾ .

انه لواجب ان يذكر المسلم انه جزء من الكون مخلوق لاله واحد متصف بالرحمة البالغة الشاملة فليكن المسلم في هذا العالم الذي يعيش فيه وهو محتاج اليه مثالا للرحمة التي يتصف بها الله وهو غني عن العالمين ، هذه هي مظاهر النزعة الانسانية في مبادئ شريعتنا حين أعلنت للناس فكيف كان واقعها حين حكمت وانتصرت ؟ هل ظلت تلك المبادئ ميثاقا كميثاق حقوق الانسان في شرعة الامم المتحدة تحتفل الدول بذكرى اعلانه يوما في كل عام بينما تمتهنه الدول الكبرى في كل ساعة وفي كل يوم وفي كل شهر من شهور السنة ؟ هل ظلت تلك المبادئ حبيسة في البلد الذي اعلنت فيه كما احتبست مبادئ الثورة الفرنسية في فرنسا وحرمت على مستعمراتها والبلدان الواقعة تحت حكمها وانتدابها ؟ هل نصبت تماثيل جديدة كما نصب تمثال الحرية في نيويورك أول ما يراه القادم الى تلك الديار بينما تنطق اعمال امريكا في خارجها نطقا يلعن الحرية ويهزأ بها ويضطهد عشاقها الاحرار ؟ لنستمع الى التاريخ فهو اصدق شاهد لنستمع الى روائع النزعة الانسانية وكيف اعلنتها حقائق ناطقة في تصرفات افرادها وحكامها .

وما تقدم من النزعة الانسانية مقتبس (من روائع حضاراتنا)⁽²⁾ . للدكتور السباعي تغاضب ابو ذر وهو من عربي من غفار مع بلال الاسود الحبشي مولى ابي بكر ﴿رضي الله عنه﴾ وكان ابو ذر وبلال صحابيين ممن آمن بالاسلام ورسوله وتطور النزاع بينهما إلى ان اخذت ابا ذر الحدة فقال لبلال يا ابن السوداء فشكاه بلال إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ . فقال لابي ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية فقال ابو ذر وقد ظن ان الجاهلية انما هي الانحراف الاخلاقي الشهواني الذي لا يأتيه الا الشباب على ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال نعم ، هم اخوانكم⁽³⁾ .

---

(١) سورة الفاتحة ، الايتان ٢–٣ .

(٢) ينظر كتاب من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٥٢–٥٤ .

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الايمان باب (٢٢) المعاصي من امر الجاهلية ١٠٦/١ فتح الباري واخرجه البخاري كذلك في كتاب العتق باب قول النبي (عبيدكم اخوانكم) ٢٠٦/٥ واخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان باب صحبة المماليك ١٣٢/١١ ينظر صحيح مسلم بشرح النووي وكذلك ١٣٤/١١ صحيح مسلم شرح النووي .

المبحث الثالث: العبر والعظات من القصص القرآني

يجدر بنا قبل ان نستطرد في الحديث عن العبر والعظات في القصص القرآني ان نلقي الضوء على القصة القرآنية .

معنى القصة في اللغة :

اصل القصة في اللغة : المتابعة . وذلك ان القاص يتبع الخبر بعضه بعضاً ، قال تعالى (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)(١) . أي تتبعي أثره . وقال تعالى (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)(٢). أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الاثر .

والقص: البيان . قال تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)(٣) .أي نبين لك احسن البيان . ومنه قوله تعالى: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(٤) . وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)(٥) .

والاسم منه القص . والقاص من يأتي بالقصة على وجهها . لانه يتتبع معانيها وألفاظها. أو هو قاص لانه يقص القصص تباعاً خبراً بعد خبر(٦) .

معنى القصة في القرآن الكريم :

القصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو : (اخبار الله عما حدث للامم السابقة مع رسلهم وما حدث بينهم وبين بعضهم أو بينهم وبين غيرهم افرادا وجماعات ، من كائنات بشرية أو غير بشرية بحق وصدق ، للهداية والعظة والعبرة)(٧) .

الحكم والعبر المستفادة من القصص القرآني:

١. **الدعوة إلى التوحيد** : فلم يرسل الله رسولاً قط الا بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل ، ونبذ عبادة ما سواه، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)(١) .

---

(١) سورة القصص : اية ١١ .

(٢) سورة الكهف : اية ٦٤ .

(٣) سورة يوسف : اية ٣ .

(٤) سورة الاعراف : اية ١٧٦ .

(٥) سورة غافر : اية ٧٨ .

(٦) دراسات في القصص القرآني . الدكتور امين عطية باشا ، مطبعة الحسين الاسلامية ، الطبعة الاولى ، سنة الطبع ١٩٩١م / ١٤١١ هـ صفحة ٩ .

(٧) قصص القرآن ، د. عبد الباسط ، بلبول ، نشر مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة ، الطبعة الاولى ، (القاهرة (القاهرة : د ت) .

وكذلك الدعوة إلى اصول الديانات من البعث والايمان بالكتب والرسل والاخلاق العامة التي لا تصلح المجتمعات بدونها.

٢. **بيان ان دعوة الرسل جميعا واحدة** : وان الدين الذي جاء به الجميع واحد من عهد نوح الى عهد محمد ﴿ﷺ﴾ . وان المؤمنين كلهم امة واحدة والله واحد رب الجميع فلا عذر لمن يتخلف عن الاجابة ويتبع هواه وفي ذلك يقول الله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)(٢) .

٣. اثبات الوحي والدلالة على صحة رسالة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ فان هذا القصص اخبار بالغيب بالنسبة له ﴿ﷺ﴾ لانه امي لم يقرأ هذا القصص القرآني من كتب السابقين ، ولم يثبت انه تعلم او تلقى شيئا من ذلك من احبار اليهود والنصارى ، فورود القصص في القرآن الكريم بهذه الدقة والاحكام وبلوغ الغاية في الفصاحة والبيان دليل على انه وحي يوحى وان الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يأت به من تلقاء نفسه . وقد نص القرآن الكريم على هذا في مقدمات بعض القصص أو في التعقيب عليها في نهايتها. قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)(٣) ، وقال تعالى في قصة مريم : (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)(٤) .

٤. التأسي بأولي العزم من الرسل فيمالا قوة في سبيل الله والدعوة اليه من الاذى والاضطهاد، وهم مع ذلك ثابتون على مبدئهم القيم ودينهم الحق ، لم يعترهم وهن ولا ضعف ولم تفتر لهم همة ، ولم يخالجهم شك الى ان قضى الله امره وانجز لهم وعده فنوح عليه السلام سخروا منه وقالوا له (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(٥) وهود عليه السلام قالوا له (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(٦) واستهزءوا بشعيب عليه السلام وقالوا له (مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا

---

(١) سورة الانبياء ، اية ٢٥ .

(٢) سورة الشورى ، اية ١٣ .

(٣) سورة يوسف ، الاية ٣ .

(٤) سورة ال عمران ، الاية ٤٤ .

(٥) سورة الاعراف ، اية ٦٠ .

(٦) سورة الاعراف ، اية ٦٦ .

وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)(١) وعيسى عليه السلام أرادوا ان يقتلوه ، قال تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ)(٢) .

٥. تسلية النبي «ﷺ» وتثبيت فؤاده وتقوية عزيمته وغم ما يلاقي من اذى واضطهاد فما يقال له الا ما قد قيل للرسل من قبل وان يكذبوه ، فقد كذبت رسل من قبله فصبروا على ما كذبوا ، قال تعالى : (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)(٣) .

٦. في القصة القرآنية دلالة على قدرة الخالق من حيث الاعطاء والمنع والانجاء والاهلاك وخلق خوارق العادات كخلق ادم وقصة مولد عيسى عليه السلام وقصة ابراهيم والطير وعصا موسى ويده التي يدخلها في جيبه ثم يخرجها فاذا هي بيضاء للناظرين من غير مرض ، وابراء عيسى للاكمه والابرص واحياؤه الموتى باذن الله واخراجه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكذلك ناقة صالح التي جعلها الله اية وأمات الله رجلاً مائة عام ثم بعثه ... إلى غير ذلك من الخوارق التي تدل على قدرة قادرة وتدبير إلهي حكيم .

٧. العظة والعبرة لكل من الفريقين – المؤمنين والكافرين – فقد اشتملت القصة القرآنية على كثير من العظات والعبر التي تؤثر في النفوس وتدفع الكافرين إلى الايمان لئلا يصيبهم ما أصاب الامم من قبلهم أو يحل من العذاب العاجل مثل ما حل بقوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط وتدفع المؤمنين لزيادة التمسك بدينهم والتفاني في نشر تعاليمهم وتحمل الاذى في سبيله لينالوا من النعيم ما أعدّ لهم ولإمثالهم السابقين قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (٤) .

٨. بيان عاقبة التقوى والصلاح وعاقبة الشر والفساد كقصة ابني ادم وقصة صاحب الجنتين وقصص بني اسرائيل بعد عصيانهم ، وقصة سد مأرب وقصة أصحاب الاخدود إلى غير ذلك من القصص .

٩. اثبات عقيدة البحث والجزاء ورفع الشك عنها ويبدو ذلك واضحاً جلياً في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها : (قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) سورة هود : اية ٩١ .

(٢) سورة النساء : اية ١٥٧ .

(٣) سورة هود : اية ١٢٠ .

(٤) سورة يوسف : اية ١١١ .

شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١) . وقصة بقرة بني اسرائيل (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(٢) . وقصة اصحاب الكهف (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا)(٣) . وقصة الالوف من بني اسرائيل الذين خرجوا حذر الموت، قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)(٤)}(٥) .

١٠. ان القصة القرآنية تعلمنا كيف يكون الانسان وارثاً لاخلاق واداب وعلوم الانبياء فيتخلق باخلاقهم ويتأسى بأدبهم ويستنير بدعوتهم .

١١. الاهابة بالمكذبين ان يتعلقوا بخيوط النجاة الاخيرة لكي ينجوا كما نجا قوم يونس من عذاب الخزي في الحياة الدنيا وهو الغرض المباشر من سياق القصة هذا المساق.

١٢. لا يحق للداعية إلى الله ان ييأس من صلاح النفوس واستمالة القلوب مهما واجه من انكار وتكذيب واعتداء اثيم ، ولا بد للداعية من الاعادة والتكرار في النصح والارشاد لمن كلف بتوجيههم وانارة الطريق أمامهم لأنه في مقام تعليم والتعليم يقتضي التكرار .

المبحث الرابع : نماذج من تقويم الإنسان في القرآن الكريم

قال تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)(٦).

وقال تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(٧).

مما تقدم في هاتين الآيتين ... يتبين لنا وجوب طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وكذلك طاعة الله ورسوله والالتزام بسنته .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(١).

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة : اية ٧٣ .

(٣) سورة الكهف : اية ٢١ .

(٤) سورة البقرة : اية ٢٤٣ .

(٥) ينظر دراسات في القصص القرآني : ص١٥-٢١ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٦٩ .

(٧) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

فالتقوى ان تحب ما تكره إذا احبه الله وان تكره ما تحب إذا كرهه الله والمراد من ذلك امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وثمرة التقوى هي الجنة .

قال تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(٥٤)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)(٢).

وقال تعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا(٣١)حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا(٣٢)وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا)(٣).

وقال تعالى : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)(٤).

وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ في حديث الاعرابي : (قد أفلح إن صدق)(٥) .

قال الامام الغزالي ... اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاثة خصال انها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض : الاسلام الخالص عن البدعة ، والصدق لله تعالى في الاعمال ، وطيب المطعم(٦).

كما أمر سبحانه وتعالى بالاحسان في كل شيء وهو ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك(٧).

وقد بين سبحانه وتعالى عاقبة المشركين الا من تاب توبة نصوحة قبل ان يغرغر . قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)(٨).

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال في النص ان الشرك ظلم عظيم مصداقاً لقوله تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(٩).

أما بالنسبة للوالدين فقد أوصى بالإحسان إليهما حيث قال : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)(١٠).

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٩ .

(٢) سورة القمر ، الآية ٥٥ .

(٣) سورة النبأ ، الآيات (٣١،٣٢،٣٣) .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٣٣ .

(٥) اخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان باب بيان الصلوات عن طلحة بن عبيد الله : ١٦٦،١٦٧/١ ، شرح صحيح مسلم للنووي .

(٦) احياء علوم الدين للامام الغزالي طبعة الحلبي : ٤٨١/٤ ، ١٩٦٩م .

(٧) الاحسان اخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب اشراط الساعة عن أبي هريرة : ص١٦٤/١٦٥ .

(٨) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

(٩) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

(١٠) سورة الاسراء ، الاية ٢٣ .

وبين سبحانه وتعالى اوقات الصلوات وبين ان صلاة الفجر مشهودة من الله وملائكته وان الصلاة عماد الدين وغالباً يقرنها بآيات الزكاة ويتوجها بتاج الايمان وهذه صفات المؤمنين .

وقال تعالى : (أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (١).

وقال تعالى في ذكر معظم اوقات الصلوات : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) (٢).

وقال تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (٣).

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (٤).

كما حذر الرسول الكريم من الكبرياء وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (٥).

وقد قدمنا وصية الله ووصية رسوله بالاحسان بالوالدين حيث قال (ﷺ) (رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما) (١) .

---

(١) سورة الاسراء ، الآيتان ٧٩،٧٨.

(٢) سورة الروم ، الآيتان ١٧، ١٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآيتان ٣،٢ .

(٤) سورة لقمان ، الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٥) اخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان ، باب تحريم الكبر وكذلك أبو داوود في سننه في كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر عن ابن مسعود (٤٩١) وكذلك الترمذي في سننه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر عن ابن مسعود (٢٠٦٧) وقال الترمذي في هذا حديث صحيح غريب . وينظر كتاب الكبائر للحافظ الذهبي تحقيق د. عبد المحسن قاسم الحاج حمو .

ومن المعروف ان الجنة تحت اقدام الامهات كما اوصى المشرع الحكيم بالصبر حيث قال : (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (٢) .

كما اخبر سبحانه وتعالى ان الله في معية الصابرين حيث قال : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(٣) ، أي معهم في حفظه ورعايته وعلمه كما حث على خفض الصوت في المحادثة والمحاورة وبخاصة حضرته ﴿ﷺ﴾ سواء اكان حيا ام ميتا .

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى)(٤).

كما امر سبحانه باداء فريضة الحج وسن الرسول ﴿ﷺ﴾ العمرة حيث قال تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (٥) .

وقال ﴿ﷺ﴾ : (العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) (٦).

وامر جل في علاه بصوم شهر رمضان حيث قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٧) .

ويبين ثمرة ذلك ﴿ﷺ﴾ حيث قال : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)(٨) .

ومن الهدي الشرعي افشاء السلام حيث قال تعالى : (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)(٩)

---

(٣) اورده السيوطي في جامعه الصغير وعزاه للطبراني في الكبير وللترمذي في سننه والحاكم في مستدركه ورمز له بالصحة عن عبد الله بن عمرو ٢ / ٢٥ . ومن يرد الاستزادة فليرجع الى كتاب الكبائر للحافظ الذهبي ، تحقيق د. عبد المحسن قاسم الحاج حمو البزاز ، كبيرة عقوق الوالدين .

(٤) سورة النحل ، الاية ١٢٧ .

(٥) سورة البقرة ، الاية ١٥٣ .

(٦) سورة الحجرات ، الاية ٣ .

(٧) سورة ال عمران ، الاية ٩٧ .

(٨) اخرجه الامام البخاري في صحيحه من كتاب العمرة (١) باب العمرة الحديث رقم ١٧٧٣ في ٦٩٨/٣ فتح الباري.

(١) سورة البقرة ، الاية ١٨٣ .

(٢) اخرجه الامام البخاري في صحيحه في كتاب الصيام (٦) باب من صام رمضان ايمانا واحتسابا ، الحديث رقم ١٩٠١ في ٤ / ١٣٨ فتح الباري .

(٣) سورة النساء ، الاية ٨٦ .

وصدق الرسول حيث قال : (اطعم الطعام ، وافش السلام ، وصل الارحام ، وصل بالليل والناس نيام ، تدخل الجنة بسلام) (١) .

وقد امر ﴿ﷺ﴾ بعبادة رب مكة المكرمة وبتلاوة القرآن الكريم كما قال تعالى : (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٩١)وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) (٢) .

ومن اسرار القرآن الكريم انه يرفع منزلة من تلاه ويعلي من قدره فقد كان نافع بن عبد الرحمن المقرئ المدني (وكان اسود اللون شديد السواد) (٣) ، فلم يمنعه ذلك من ان يكون إماماً للقراء في المدينة المنورة والمرجع الاعلى في القراءات وكان رحمه الله حسن الاخلاق وسيم الوجه وفيه دعابة وكان رحمه الله (يشم من فمه رائحة المسك وان لم يتعطر فسئل عن ذلك فقال : اكرمني الله بهذه الرائحة بفضل رؤيتي لرسول الله ﴿ﷺ﴾ في المنام حيث راجعت القرآن كله معه)(٤) .

هذه نماذج مختلفة وضعها المشرع الحكيم نصب عيني المسلم لكي تكون نبراسا وهداية لتقويم عمله والوصول الى رضا الله ثم رضا رسوله الكريم ﴿ﷺ﴾ ومن الله نستمد العون والفلاح والرشاد .

---

(٤) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب للامام احمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ٢ / ٦٢ .

(٥) سورة النمل ، الايتان ٦١ – ٦٢ .

(٦) البدور الزاهرة في القراءات . عبد الفتاح عبد الغني القاضي ، ط٢ ، دار القاهرة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، ص ٧ .

(٧) البدور الزاهرة في القراءات . عبد الفتاح عبد الغني القاضي ، ص٨ .

المبحث الخامس : وجوب الحكم والعمل بالشريعة الإسلامية

ان نصوص القرآن المتواترة ، والسنة النبوية المتواترة عملا وقولا لتوجب العمل بالشريعة الإسلامية على المسلمين ، والاحتكام اليها في كل شيء في العبادات والمعاملات والحدود والجنائيات والاقتصاديات والسياسات ... وغيرها .

والدين الاسلامي يشتمل على العقائد ، والعبادات والمعاملات وهي ما تعرف في القوانين بالمدنيات ، والجنائيات من قصاص ، وحدود وغيرها كالاقتصاديات والسياسات والصلح ، والمعاهدات، اما العقائد فلم يختلف في وجوب اعتقادها احد من المسلمين ، والفرق الاسلامية كلها تتفق على اصل العقائد ، وانما خالف فيها اليهود والنصارى ، وكذا العبادات لم يخالف فيها احد من المسلمين واما ما عدا ذلك من بعض المعاملات والجنائيات ، والامور المالية كالربا فهي التي وقع فيها الخلاف من بعض المسلمين ، والكثرة الكاثرة من غير المسلمين في وجوب العمل بها وتطبيقها عمليا .

اما غير المسلمين فما داموا لم يؤمنوا بالاصول ، وكفروا بالله ورسوله محمد ﴿ﷺ﴾ فليس لنا ان نلزمهم بالفروع ، لانهم فقدوا الاصل الاصيل وهو الايمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، والقدر خيره وشره .

اما الذين امنوا بالاصول وشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، والتزموا بحكم ايمانهم بالاسلام ، والانقياد الى شرائعه وتعاليمه فاليهم نسوق هذه الادلة :

١- مما لا ينبغي ان يختلف فيه اثنان ان الشرائع السماوية انزلها الله للهداية والعمل بها ، والا فما الفائدة من نزولها ان لم يعمل بها ؟؟

والشرائع السماوية السابقة قد انتهت ازمانها واستنفدت الغرض منها ، ولم يبق كما اسلفنا الا الشريعة الاسلامية المختصة بالعموم والخلود ، وهي التي حلت محل الشرائع السماوية السابقة فكان وجوب العمل بها لزاما ولا سيما على المسلمين الذين التزموا بالاسلام عقيدة وشرعا وعلما وعملا . قال عز شأنه : (إِنَّ هَذَا الْقُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (١) ، وقال: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (٢) .

وقال تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (٣) ، وقال : (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

---

(١) سورة الاسراء ، الاية ٩ .

(٢) سورة الاسراء ، الاية ٨٢ .

(٣) سورة ابراهيم ، الاية ١ .

وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١) ، وقال: (إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)(٢)، الى غير ذلك من الايات .

٢. ان الله تبارك وتعالى حكم بكفر من لم يحكم بما انزل الله وحكم عليهم بانهم هم الظالمون ، وانهم هم الفاسقون وذلك في معرض احتكام اليهود اليه ، وامره ان يحكم بينهم بما انزل الله ، لا بما يوافقهم او يحكم بينهم بما صرفوا وبدلوا احكام التوراة .

قال عز من شأنه : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (٣) ، ثم قال: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٤) ، وقال : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٥) .

وليس بين الايات تعارض او تخالف فالظلم يطلق ويراد به اعلى انواعه وهو الكفر ، وكذلك الفسق يطلق ويراد الفسق الاكبر وهو الكفر فمن حكم بغير ما انزل الله مستحلا ذلك ، راضيا به قلبه طيبة به نفسه فهو الكافر لا محالة ، وهو الظالم لانه ظلم نفسه بتعريضها لغضب الله ، وظلم الناس بحرمانهم من ثمرات هذه الشريعة العادلة الحاكمة ، وهو الفاسق لانه فسق عن امر ربه ، وتمرد على شريعة الله وحارب الله ورسوله في الارض .

اما من لم يحكم بما انزل الله الا عن جحود وتهاون ، ومن غير ان يطمئن بذلك قلبا ، فليس بكافر وانما هو فاسق ظالم وقد قلنا ان الظلم درجات وكذلك الفسق فهما يطلقان بمعنى الكفر ويطلقان ويراد بهما العصيان ، روى ابن جرير عن علي بن طلحة عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).

---

(١) سورة المائدة ، الايات ١٥ – ١٦ .

(٢) سورة الشورى ، الايات ٥٢ – ٥٣ .

(٣) سورة المائدة ، الاية ٤٤ .

(٤) سورة المائدة ، الاية ٤٥ .

(٥) سورة المائدة ، الاية ٤٧ .

قال : "من جحد ما انزل الله فقد كفر ، ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق"(١) .

وروي مثل هذا القول عن عكرمة مولى ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ وهذه الايات الثلاث ، وان ذكرت في القرآن الكريم في سياق الكلام عن التوراة والانجيل وما انزل الله فيهما من الاحكام، والمواعظ والرد على من لا يرتضون حكم الله من اليهود الذين حرفوا الكلم عن مواضعه واشتروا به ثمنا قليلا من الرشا ، وابتغاء الجاه ، واتباع هوى الناس ، الا انه حكمها عام ، لان لفظها عام ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

والى القول بعموم الايات الثلاث ، وانها ليست خاصة باهل الكتاب بل تشمل اليهود وامثالهم ممن يفعل فعلهم من المسلمين ويهمل كتاب الله القرآن ، (وذهب كثير من السلف كما روي عن ابن مسعود ﴿رضي الله عنه﴾ انه قال :

"انها عامة في اليهود وغيرهم " ، وكان ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ ايضا يرى ان حكم الايات يشمل المسلمين وغيرهم ، ويرد على من يقول انها في اهل الكتاب خاصة ، اخرج ابن المنذر عن ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ قال : " نعم القوم انتم ، ان كان من حلو فهو لكم ، وما كان من مر فهو لاهل الكتاب ") (٢) ، (وروى الحاكم وصححه ، وعبد الرزاق وابن جرير عن حذيفة ﴿رضي الله عنه﴾ ان الايات الثلاث ذكرت عنده فقال رجل : ان هذا في بني اسرائيل ، فقال حذيفة : نعم الاخوة لكم في بني اسرائيل ، ان كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة ، كلا والله لتسلكن طريقهم حذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة(٣) .

نعم قد كان في السلف من يفرق الايات بين المسلمين واهل الكتاب ، روى ابن جرير بسنده عن الشعبي قال في قوله تعالى : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قال هذا في المسلمين ، (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) قال هذا في اليهود ، (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) قال هذا في النصارى ، وهذا القول وان لم يبعد كثيرا عن القول الاول الذي ذهب اليه الجمهور من السلف فقد وافقه في ان من لم يحكم بما انزل من المسلمين فهو من من الكافرين بالمعنى الذي ذكرناه(٤).

---

(٦) فتح القدير : محمد علي الشوكاني ، ٢ / ٤٥ .

(١) الحدود في الاسلام ، ص ١٢ – ١٣ .

(٢) والقذة بالقذة : يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفرقان ، والقذة ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها واعدادها لتركب في السهم ، المعجم الوسيط ٢ / ٧٢٧ – ٧٢٨ .

(٣) الحدود في الاسلام ص ١٣ – ١٤ ، وينظر تفسير ابن كثير والبغوي في تفسير هذه الايات .

واخرج عبد بن حميد عن حكيم بن جبير انه سأل سعيدا بن جبير عن قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ) ، (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)، (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ) .

قال : فقلت له : انها نزلت على بني اسرائيل ولم تنزل علينا ، قال : اقرأ ما قبلها وما بعدها، وما بعد ، فقال : بل نزلت علينا . وروي عن بعض السلف ان الايات في اهل الكتاب، وليس شيء منها في اهل الاسلام ، وهو رأي غير مقبول ولا مسلم ، وضعيف ، فالايات عامة وليس هناك ما يخصصها ، بل المسلمون ان لم يحكموا بما انزل الله في كتابه وسنة نبيه فهم احق بهذه الاوصاف من اليهود والنصارى ، لأن دينهم عام ، وشريعتهم وافية باقية الى يوم القيامة ، وادلة الاحكام عندهم متوافرة فليس لهم عذر ما في الحكم بغير ما انزل الله .

وليس ادل على ان الحكم بغير ما انزل الله مع الرضا والقبول وعدم الاستنكار كفر ، وظلم ، وفسق وانها في حق المسلمين ما ذكره الله سبحانه بعد ان قال عز شأنه : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ(١) بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ(٢) وَمُهَيْمِنًا(٣) عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا(٤) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨) وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ(٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (٥) . فقد اكد الله سبحانه وتعالى الحكم بالقرآن الكريم في غير موضع الايات ، وحذر النبي ﴿ﷺ﴾ غير مرة من اتباع اهواءهم ، والقوانين الوضعية فيها من الاهواء نما فيها ، وجعل الحكم بغير ما انزل الله جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء فكيف بعد هذا البيان الناصع الواضح وهذه التأكيدات يزعم زاعم ، او يظن انها في اليهود والنصارى ، وليست في المسلمين(٦) .

---

(١) القرآن الكريم .

(٢) التوراة والانجيل .

(٣) وشاهدا عليه .

(٤) المراد الاختلاف في الفروع لا في الاصول .

(٥) المائدة ٤٨ – ٥٠ .

(٦) الحدود في الاسلام ، ص ١٤ – ١٥ .

وللشيخ العلامة الحافظ المفسر عماد الدين ابن كثير في تفسير هذه الاية الاخيرة كلام حسن دقيق انقله بنصه عسى ان يكون زاجرا ، ووازعا لاولئك الذين يقفون في سبيل العمل بشريعة الله تعالى ويرضون العمل بالقوانين الوضعية المستوردة التي هي غريبة عنا ، وعن شريعتنا ، وعن بيئتنا ، والتي غلب على واضعيها الهوى والشهوات، قال رحمه الله واثابه (ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المحكم ، المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الاراء ، والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالة ، والجهالات مما يضعونها بارائهم ، واهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم – جنكيز خان – الذي وضع لهم – الياسق – وهو عبارة عن كتاب مجموع من احكامه قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية ، وغيرها وفيها كثير من الاحكام اخذها من مجرد نظره ، وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله ، وسنة رسوله (ﷺ) ، فمن فعل ذلك فهو **كافر** يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله (ﷺ) ، فلا يُحَكَّم سواه في قليل ولا كثير) (١) ، ثم هو نص طويل .

وهذا الكلام الذي قاله الامام ابن كثير يمثل وجهة نظر المسلم الذي رضي بالله ربا وبالاسلام دينا ، وبسيدنا محمد نبيا ورسولا .

٣. وليس ادل على وجوب العمل بشرائع الاسلام وان الايمان العاري عن العمل لا يحقق السعادة التامة ، من انه سبحانه وتعالى لم يذكر الايمان الا مقرونا بالعمل في وعده للمؤمنين بالخير الدنيوي والاخروي او في بيان خير البشر ، او في بيان كمال الفطرة والسلوك ، فمن ذلك قوله تعالى : (وَالْعَصْرِ(١)إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)) (٢) ، وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ(٧)جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (٣) ، وقوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ(٤)ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (٤) ، وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ

---

(٧) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٧ .

(١) سورة العصر .

(٢) سورة البينة ، الايات ٧ – ٨ .

(٣) سورة التين ، الايات ٤ – ٨ .

مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) (١) ، وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) (٢) .

وتأمل في قوله سبحانه : (إِنَّا لا نُضِيعُ....) ، فهو يدل على ان العامل لا بد ان يجازى على عمله الصالح دنيا واخرى .

وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣) .

ويلاحظ ان معظم الايات الواردة في هذا جاءت في السور المكية ذلك ان التشريع في القسم المكي من القرآن يدور حول العقائد وتثبيتها والاصول الاخلاقية ، والاجتماعية التي لا غنى لاي مجتمع عنها ، وقاعدة لزوم اقتران العقيدة بالعمل والعلم بالعمل قاعدة لزوم اقتران العقيدة بالعمل قاعدة دينية ، اجتماعية اخلاقية اصلاحية .

والايمان وحده بدون عمل ، ومع مقارنة السيئات والمنكرات لا يكفي في اصلاح الامم والشعوب في الدنيا ، ولا ينجيهم النجاة الكاملة في الاخرة وليس ادل على ذلك من ان الامة الاسلامية في عصورها الاولى لما جمعت بين الايمان والعلم والعمل كانت لها السيادة في الارض ، والعزة والقوة في الدنيا والنعيم المقيم في الاخرة فلما اكتفت من الايمان بالقول وترك العمل الصالح ، ومن العلم بالجدل ، والشقشقات اللفظية الجوفاء صارت مغلوبة على امرها ، ومستبعدة مستذلة لغيرها ، وها هي اليوم تستدرك ما فاتها وتحاول اصلاح اخطائها وتعلو اصواتها في سبيل الاخذ بشريعة ربها(٤) .

---

(٤) سورة البروج ، الاية ١١ .

(٥) سورة الكهف ، الايات ٣٠ – ٣١ .

(٦) سورة يونس ، ٩ – ١٠ .

(١) الحدود في الاسلام ص ٢٠ .

الخاتمة :

الحمد لله وهو حسبي وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى اله أهل الصدق والصفا وأصحابه البررة النجباء.

وبعد ... فقد وفقني الله سبحانه للكتابة بهذا الموضوع وأفدت من عبق عبيره فوجدت انه الدستور الخالد فهو علاج ناجح للعلل الاجتماعية والأمراض النفسية ودعوة إلى النزعة الإنسانية وتقارب الحضارات وتعبيد لطرق الخير ومفتاح للسعادة الأبدية دنيا وآخرة، وقد عانيت في جمع شتات هذا الموضوع فهو متن لمن يريد شرحه وفتح رتوقاته فالقرآن الكريم يعالج كذلك المشاكل الاقتصادية والسياسية وغيرها ولولا ضيق المجال وكلل الأبدان لأشبعت هذا الموضوع دراسة وتعمقا والله الهادي إلى سبيل الرشاد. وفي الختام اسأل الله أن يزيل الغمة عن أبناء الأمة وبخاصة في عراقنا الحبيب وأقول اللهم حل هذه العقدة وأزل هذا الحنق واجعل المسلمين يدا واحدة واجعلهم مصابيح خير وهداية ورحمة ونورا للبشرية جمعاء. وخاتمة القول: فان القرآن الكريم يجفف منابع الجرائم والأخطاء، ويمهد للقضاء عليها إذا طُبِقَ قولاً وسُلوكاً .

المصادر و المراجع:

١. إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، نشر مؤسسة الحلبي، طبعة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

٢. أسباب نزول القرآن تأليف أبو الحسن علي بن احمد الواحدي تحقيق السيد احمد صقر طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٣. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، تأليف الشيخ منصور علي ناصف، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان الطبعة الثالثة سنة الطبع ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٤. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٥. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير مطبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الأخيرة بلا سنة الطبع.

٦. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الخامسة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة الطبع ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٧. الجامع لإحكام القرآن تأليف أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة نشر دار الكتب المصرية سنة الطبع ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

٨. الحدود في الإسلام و مقارنتها بالقوانين الوضعية، تأليف د. محمد أبو شهبه طبعة مجمع البحوث الإسلامية الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٩. دراسات في القصص ألقرآني تأليف الدكتور أمين عطية باشا، طبع مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١٠. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف الإمام النووي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة الطبعة الثالثة بلا سنة طبع.

١١. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح تأليف الإمام ابي عيسى الترمذي، طبعة دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت الطبعة الثانية سنة الطبع ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٢. صحيح مسلم بشرح النووي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان الطبعة الثانية سنة الطبع ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري تأليف الإمام ابن حجر العسقلاني، نشر دار المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة بلا سنة طبع.

١٤. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد علي الشوكاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

١٥. الفضيلة والفضائل في الإسلام تأليف احمد عبد الرحيم السايح، طبعة مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٦. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، تأليف إسماعيل الجيلاني، طبعة الحلبي بمصر الطبعة الأولى بلا سنة طبع.

١٧. قصص القرآن تأليف د. عبد الباسط بلبول، نشر مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة الطبعة الأولى بلا سنة طبع.

١٨. الكبائر للإمام الحافظ الذهبي، تحقيق: د. عبد المحسن قاسم الحاج حمو البزاز، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٩. مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر الرازي، نشر دار الكتاب العربي بيروت–لبنان الطبعة الأولى سنة الطبع ١٩٦٧م.

٢٠. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، تأليف أ.ي. وِنْسِنْك ، طبع مطبعة بريل في مدينة لندن الطبعة الأولى سنة الطبع ١٩٤٣م.

٢١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى.

٢٢. المعجم الوسيط أخرجته لجنة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة نشر المكتبة العلمية بطهران.

٢٣. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لتخريج ما في الإحياء من الأخبار، تأليف: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، طبعة مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٤. من روائع حضارتنا تأليف الدكتور مصطفى السباعي، طبع دار السلام بدمشق الطبعة الأولى سنة الطبع ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م.

٢٥. هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان، تأليف عبد الله سراج الدين، نشر مؤسسة الشام للطباعة والتجليد الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤١١هـ ١٩٩١م .